والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

اقد قيل . رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه ووقف عند حدّه . فنحن الان قد آن لنا ان نعمل بوصية هذا الحكيم ليكون نصيبنا من بني الانسان نصيب الاحياء التي تأخذ بقدر ما تعطي وتنال بقدر ما تهب . فالمرأة ولا فخر . هي رونق الحياة وبهجتها . بل هي شعر الوجود وبورة كل جمال وكمال فيه . فكما ان نفسنا تعلو وتسبح هائمة في طبقات اللانهائية وتصعد في سماء الخيال والحقيقة عند ما تنشد قصيدة من قصائد المعري او المتنبي او ابي تمام الطائي هكذا يكون مجموع شعورنا واحساساتنا عند مجالستنا ومكالمتنا امرأة سامية العقل متهذبة الاخلاق تتخذ اماناتها النسائية وكمالاتها النفسانية قائداً لها . فهي تحمل جليسها على الافتكار بكل ما هو سام عظيم وتوجه تصوراته نحو كل مستحسن نبيل وهاك ما قاله كثير الشاعر الشهير « بعزة » ممدوحة الشعراء

رهبان مدين والذين عهدتهم يبكون من حذر العقاب سجودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها خرّوا لعزة ركعاً وسجودا

وهي مع ذلك قوة فعالة في الوجود . فلولا حنانها وانكارها نفسها ونسيانها مسراتها الذاتية . ما بقي على وجه البسيطة نافخ نار . هذا امر مقرر لا يحتاج الى برهان . هذا قدر المرأة وهذا تعريفها . وما هضمت حقوقها واهملت ضمن جدران المنازل كمتاع يباع ويشرى الا لانها استسلمت لعواطفها وانقادت لضعفها الذي رمتها فيه امها الطبيعة القاسية تلك التي جعلت في ثدييها ينابيع الحياة وفي احشائها مصنع الانسانية

فكيف يمكنني يا ترى ان اترك ولدي الرضيع يمزق احشاءه الجوع ويضني جثمانه اللطيف البرد واذهب برفقة زوجي كل مساء اصرف في الحانات والقهوات ومحلات الملاهي اوقاتي ومالي . زوجي ربما يفعل ذلك بسرور ولذة لانه لا يجد نفسه مسؤولاً لديّ ولدى عيلته ولو بلغت عشرة اولاد عدا الا بتأدية النفقة . اما انا فيضطرب جناني ويخفق قلبي ويبكتني ضميري واعدّ نفسي سارقة كل دقيقة من حياتي لا اقضيها في نفع بنيّ اديباً ومادياً . انا اصرف في سبيل عائلتي نشاطي وذكائي . واهب لها قلبي وروحي . وزوجي يدفع لي دراهمه . اماذا كاؤه ونشاطه وكل قواه العاقلة انما يصرفها في مطامعه التي لا تحد سعياً وراء السؤدد والسلطة . انا اذا وجدت من زوجي ظلماً او اهمالاً رفعت بناظري الى السماء . وتعزيت بقولي . هذا نصيبي . هذه قسمتي . هذا بختي . كلا . ايتها الاخوات قد آن لنا ان ننبذ هذه العبارات ظهرياً ونتذرع بعلة الشاعر . لنقي انفسنا هذا الظلم وذياك الاهمال . نتذرع بمهنة نتقنها

وحرفة تدفعنا معاملة ازواجنا لنا معاملة السيد للعبود والقاضي الذي لا يقبل حكمة الاعتراض . فنحن من شركة زوجية انما تعقد على حدّ قول الشاعر

منك الدقيق ومني النار اضرمها والماء مني ومنك السمن والعسل

اعلمن ايتها العزيزات ان الزواج لا يجب ان يكون الحجة التي يجب ان تشدّ اليها الرحال وتجه نحوها العزائم . لا يجب ان يكون الدعوة التي يجب ان تهبّ لها الفتاة نفسها فتقضي اوقاتها وتصرف ذكاءها بالبحث عما يزيد وجهها اشراقاً ومحاسنها نضارة ورونقاً فتجعل من اعلانات البرتقان والبون مارشه والسامارتن كتباً تدرس منها اسماء الازياء والالوان . والحلى والحلل . مهلاً ايتها الفتاة . انت يا من جعلت نفسها اشبه بآلة موسيقية لا تهتز اوتارها الا متى فتحت سيرة الازياء . حولي انظارك الى ما هو اسمى من من زيّ يزول . انا لا اكتمك ان ما في كما بك . لان الميل لاعجاب الغير ومعاونة الطبيعة باضافة بعض المحاسن المكتسبة من الفنون والذوق الحسن امر غريزي في الانسان . ذكراً كان ام انثى . لا يجحده الا كل متقشف متصوف او عجوز فان . لكن جعل الازياء شغلنا الشاغل وعملنا الوحيد امر مكروه فيه كل حطة وضعة . خصوصاً اذا كان القصد منه البحث عن الزوج . كأنما في اكتسابه نيل السماء وهنائها . والفردوس ونعيمه . فتجعله الفتاة محط امانيها ومحور اعمالها . وتقتصر على التصورات الغرامية او الخيالية وتترك كل حقيقة تمرّ امامها مرّ السحاب دون ان تكتسب منها عبرة او تربح لنفسها درساً نافعاً . حتى متى تزوجت ورأت البون الشاسع بين تصوراتها السالفة والحقيقة التي وقعت فيها غلب عليها اليأس واستسلمت للقنوط واهملت نفسها . كأنها لم تكن بالامس تلك الغانية التي كانت تجتذب القلوب روْيتها و يسترق الاسماع منطقها العذب وصوتها الرخيم

ايا كن ان تعلقن كل امالكن على الزوج وتتكلن عليه في حمل شقاء الوجود عنكن . لان الحياة ليست حياة سرور ولذة فقط . بل حياة واجب وعمل . فالسعيد السعيد الذي قام بواجباته لنفسه وذويه ومواطنيه بطيبة خاطر وراحة بال . والشقي الشقي من اعتمد على غيره واسند سعادته اليه ولو كان اغنى من قارون واحكم من اياس

تأكدن ان الانسان لم يخلق فرداً وان الجنسين وجدا ليتحدا و ينشئا العائلة و يتعاونا في سراء الحياة وضرائها لا ليعيشا منفردين . تأكدن ان الزوج لا بد ان يأتي يوماً دون بحث ولا عناء . فيا حبذا لو تصرف الفتاة الشرقية الحديثة وقتها منذ تخرج من المدرسة الى حين زواجها بالقان مهنة كما تفعل شقيقتها الاوروبية فتنال بعض السعة في داخليتها

وتكفي نفسها ظلم زوجها ... حتى متى رات منه اهمالاً واستبداداً او لو جارت عليها الايام وحرمتها من حنوه ومحبته عادت الى حرفتها وانقذت بنيها من مخالب الفقر وعبوديته المنهكة. اجل ايتها الاخوات . هلمن معي لنجول جولة بين منازل الاوربيين القاطنين بين ظهرانينا نجد عائلة اخنى عليها الدهر ونزلت بها المصائب والمحن فترى المراة فيها قد وثبت وثبة الاسد فاخذت تدرس البيانو ان كانت موسيقية . اوتدخل كاتبة او حاسبة في احدى المحلات التجارية . او تفتح لنفسها تجارة ان كانت ذات راس مال فتبيع وتشتري وتعقد العقود وتؤلف الشركات كالرجل وهي مع ذلك تجد اولادها على غاية من العز والرخاء اذ تقوم بواجباتها لكل فرد منهم فتضعهم في المدارس وتنفق عليهم بحسب الوسائط التي اعطيت لها . و بذلك تكاد الذرية لا تشعر بما حلّ بها من الفواجع بل تظل سائرة من حسن الى احسن . حتى متى اشتد ساعد كل فرد منهم وصاروا رجالا ونساء كانوا اعضاء عاملة في الوجود يفتخر فيهم . اكفيكن شرح ما يحل من الخراب والدمار وسقوط الذرية فيما لو نزلت تلك النازلة ببيت شرقي فهذا امر طالما اسالت عبراتنا رويته واذاب قلوبنا سماعه

اما اذا قدّر لاحدكن ان يمر في هذه الحياة دون زوج تستند الى ذراعه فليكن لها من الطبيعة التي قضت سني شبابها وزهرة صباها في درس نواميسها وادراك اسرارها ومكنوناتها اكبر صديق وخليل . تسامرها كواكبها ونجومها . وتخاطبها اشجارها ونباتها . وتشغل تصوراتها معادنها واتربتها . فكتابها ابداً مفتوح لديها . وذراعاها ابداً ممدودتان لاستقبالها ثم لتخصص نفسها لاتقان فن تجد بالاجادة فيه تعزية وسلوى . وتترك بعدها اثاراً تنطق ببراعتها ومهارتها وتحفظ لها ذكراً حميداً تكرره الالسنة المقبلة . والاجيال العتيدة . فكما ان الزواج يكرّم لانه يهيء للمتزوجين السبل لاظهار القوة المبدعة المركوزة فيهم فيلدون النسل احياء لذكرهم هكذا تتكفل الفنون والاعمال بحفظ ذكر كل آنسة تتقنها وتتفوق فيها . واني متيقنة ان ذكر عزيزتنا المرحومة مس افرت لن يمحى من افئدة تلميذاتها ابد الدهر . وهكذا قل في عزيزتنا مس طمسن امد الله ايامها ووهبها هناء الدارين وسعادتها

اراني قد اطلت عليكن الكلام فاختمه ببعض عبارات كنت أودّ التوسع فيها لولا خشية الملل

تعلمن ايتها العزيزات أنكن سوريات عربيات وان معرفتكن اللغة الانكليزية او الافرنسية لا تصيركن انكليزيات او افرنسيات ومهما حاولت الواحدة منكن اخفاء جنسيتها